اليتيمة

تأليف العلامة المجتهد

أحمد بن لطف بن زيد بن علي الديلمي

أعدها للطبع/عمار محمد الربيدي

أحد تلاميذ المؤلف

الطبعة الثانية

مصححة مهذبة منقحة

هذه الرسالة اليتيمة تحتوي على سبعة مباحث :

المبحث الأول: التبر المذاب، في ولاية أبي تراب.

المبحث الثاني: تأملات في السنة النبوية رقم (١).

المبحث الثالث: تأملات في السنة النبوية رقم (٢).

المبحث الرابع: الاصطفاء للنبوة والإمامة.

المبحث الخامس: سبب اقتران آل محمد بآل إبراهيم في تشهد الصلاة.

المبحث السادس: بحث في آية المودة.

المبحث السابع: تحقيق القول في إسلام أبي طالب.

المبحث الأول: التبر المذاب، في ولاية أبي تراب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

مُصَلِّيًا عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَآلِهِ الْمُسْتَكْمِلِينَ الشَّرَفَا

ثم إنه عنَّ لي تقرير ما استقر في نفسي، وتحرير ما دار في خَلَدِي في متعلق ولاية أمير المؤمنين عليه السلام؛ إذ هي عندنا من أصول الدين وأركانه، وأساسه وبنيانه؛ ولم تزل نفسي تُخضع فكري للخوض فيها، وإبرازها مجلوة لا ريب فيها؛ فمددت يد الضراعة إلى الحق المبين أن يؤيد ويعين؛ حتى يوقفني على إبرازها في حلة اليقين، وأن يجعل ما هدى إليه، سببًا للنجاة بين يديه.

نعم: بعض من ينسب إلى الفقه[١] يستبعد حصول الوصاية للإمام عليٍّ عليه السلام بل يسخر من ذكرها وذاكرها ، زاعما كونها خرافة لا أصل لها وبدون بحث عن دليلها، وما حجة القائل بها؟ وهذا دأب الجاهل أو المكابر المتمسك بشبهته؛ إذ ما غاب عن علم العبد أكثر مما حضر، وكم أمر ينكره الجهول ودليله أوضح، ولسان سلطانه أفصح؛ ولهذا المنكر الهازئ سلف؛

(١) يقصد المؤلف بالفقه هنا معناه اللغوي الذي هو الفهم.

فحين أنزل الحق على عبده: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] جمع رسول الله ﷺ عشيرته، وهتف بهم فخذًا فخذًا، فحضروا وفيهم أعمامه؛ فقال: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ؛ فَأَيُّكُمْ يَكُونُ وَزِيرِي عَلَى هَـذَا الْأَمْـرِ وَيَكُونُ وَصِيِّي وَخَلِيفَتِي»؟ فأحجم الجمع، قال علي: -كنت أحدثهم سنًّا - فقلت: يا نبي الله أنا أكون وزيرك؛ فقال علي عليه السلام: فأخذ رسول الله برقبتي، وقال: «هَذَا خَلِيفَتِي وَوَصِيِّي عَلَيْكُمْ»، فسخر القوم وضحكوا، وقالوا لأبي طالب: قد أَمَّرَ عليك ابنك فاسمع له وأطع.......!

وما ترى في هذا الذي كان أحدثهم سنًّا لم يهب أحدًا، وهتف بما يمليه عليه ضميره.

ثم كيف أصبح مع رسول الله ﷺ ؟

لقد كان ولا يسد مسده الجميع، ولقد كان زائدًا على ما يرجى منه، ولم يكونوا ليسدوا العشيرمما سد؛ فالساخر بالأمس قدوة للساخر اليوم، وأمر وصاية الأنبياء إلى من بعدهم أمر مشهور متصل بإبراهيم، ألا تقرأ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ الآية [البقرة: ١٣٢]؟ وقد زعمت اليهود أن يعقوب عليه السلام حين حضرته الوفاة وصاهم باليهودية؛ فأنزل الله تعالى تكذيبًا لهم: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ الآية [البقرة: ١٣٣]، وقصة زكريا في آل عمران وفي مريم حين خلا البيت النبوي ممن هو أهل لحمل الرسالة،

وخشي على الدين من أعدائه دعا ربه أن يهب له وليا يحمل أعباء النبوة فاستجاب الله له ورزقه يحيى بن زكريا.

ولقد خيل للعاص بن وائل السهمي أن النبوة سيخبو نورها، وينطفئ ضياؤها بموت رسول الله ﷺ وقال: إنهُ أبتر؛ فأنزل الله فيه مخاطبًا لرسوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ وبث من ذريته ما ملأ الخافقين؛ إذ جعل الله ذريته في صلب علي من فاطمة الزهراء؛ فهذا وأمثاله هم الذين يليق بهم اعتقاد انطفاء النبوة، وعدم العهد بها إلى أحد من البيت النبوي، وأن أولاد علي عليه السلام ليسوا أولاد محمد ﷺ، أما مؤمن فلا.

ذلك أن النبوة لها بيت معين وأسرة مخصوصة، وهو بيت إبراهيم قال تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا﴾ الآية [النساء: ٥٤] ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ الآية [العنكبوت:٢٧] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾[الأنعام:٨٩]، وانظر آية المباهلة: ﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ الآية [آل عمران:٦١] من دعا سيد الخلق ؟وهو يقول: ﴿وَنِسَآءَنَا﴾ هل دعا عائشة أو سودة أو حفصة وهو متزوج تسعًا؟ هل دعا أحدًا من نسائه؟ –كلا – لماذا؟

ليدل على ما قلت لك من أنَّ النبوة لها بيت معين، وأسرة مخصوصة،

وهل رأيت أحدًا حضر الملاعنة غير من ضمهم الكساء في آية التطهير ؟

لا؛ لأن أمر النبوة وما يُسفر عنها من متاعب أو نيل جزاء يختص بهذا البيت، دعا من هم به أخص، وهم به أولى؛ ليبرهن على صدق دعواه، وأنه نبي الله حقًّا؛ وهذا يتعلق ببيت النبوة بيت إبراهيم، والآية آية المباهلة تريك أن محمدًا وآله جزء لا ينقسم، وكل لا يتجزأ دون غيرهم، ولو دعا إليها من غير آل محمد لكان حضوره خارقًا للاختصاص وباطلًا كولاية أبي بكر على تبليغ براءة؛ حيث أنزل الله جبريل ليقول لمحمد ﷺ: «لَا يُبَلِّغُهَا إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ».

ثم انتقل بهذه الزمرة المباركة والجماعة المنتخبة أهل الله وأحباءه خير من أقلت الغبراء وأظلت الخضراء إلى آية التطهير : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[الأحزاب:٣٣] «أَهْلَ ٱلْبَيْتِ» منصوب على الاختصاص بالمدح؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾[البقرة:١٧٧]: أي أخص أهل البيت، أي أهل بيت النبوة دون غيرهم، ودعمًا لهذا الاختصاص المفهوم من النص عربية وتأييدًا له، وحجبًا لهم عن غيرهم، قال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا»، وقوله عليه وآله الصلاة والسلام: «أهل بيتي» تبيان لقول الحق سبحانه ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، وأيد هذا الاختصاص بجمعهم تحت كسائه، وحجب غيرهم عنه، وكأنه ﷺ قد علم أنه سيكون في الآية تحريف في تأويلها

واحتمال؛ فقطع ذلك بكلتا وسيلتي العلم[1]: **١ -النطق** : وهو إسماعهم لقوله: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ» . **٢-والعين:** وهو لف الكساء عليهم؛ وليكون بيانًا لا يتخطاه إلا معاند، إضافة إلى تذكير الضمير في : ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ﴾ ، ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾؛ فهم من حضر المباهلة، وهم أهل التطهير، وهم المعنيون بقوله ﷺ في الزكاة: «لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ»؛ فلم قبلوها في الزكاة مسلِّمين بلا مراء ولا عناد، و جاؤا في آية التطهير بما لا يجوز؟! هل نقل لك أحد أنه دعا إحدى نسائه في المباهلة وتحته تسع زوجات؟ أو دعا أحدًا من شباب الصحابة؟ وما أكثرهم!!! لأن غير من حضر ليسوا من آل بيت النبوة بيت إبراهيم المختص بالنبوة وأعبائها وترسيخها، ولما كانت المباهلة لترسيخ النبوة، وأنه على حق دعا من هم به أخص، وهم عليه أحرص، وتتصل نسبتهم جميعًا بالبيت المختص بيت خليل الله وهو صلى الله عليه وآله وسلم ماض مع الوحي، منفذ لأمر الله، ولو دعا إلى المباهلة ذكرًا أو أنثى من غير بيت النبوة لرُدَّ عليه كما رُدَّتْ عليه توليته لأبي بكر على تبليغ براءة، وقيل له: «لَا يُبَلِّغُهَا إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ».

---

(١) لأن طريق الإقناع : إما أثر ظاهر، أو مرئي قاهر لا سبيل لإنكاره، وهما وسيلتا رسوخهما في العقل، وتمكنهما من الضمير، وقد استعمل النبي ﷺ كلتا الوسيلتين. تمت من المؤلف.

الوصـاية

قد ذكرتُ آنفًا وصية إبراهيم لبنيه، ووصية يعقـوب لبنيـه، وقولـه ﷺ لعلي: «هَذَا وَصِيِّي وَخَلِيفَتِـي» عنـد نـزول قولـه تعـالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤].

وأومأت إلىٰ الغرض من المباهلة، وآية التطهـير، وحـين اسـتقر وضـعهُ صلىٰ الله عليه وآله وسلم في المدينة آخىٰ بين المهاجرين والأنـصار، وضـن بعلي علىٰ غيره؛ لاصطفائه لنفسه وخفي هذا عـلىٰ عـليٍّ؛ فجـاء رسـول الله قائلًا: آخيت بين المهاجرين والأنصار وتركتني؟! فقال صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، قال الشاعر:

وَآخَاهُ مِنْ بَيْنِ الْأَنَامِ وَإِنَّمَا ... يُضَمُّ إِلَىٰ وُسْطَىٰ الْعُقُودِ مَثِيلُهَا

كما خفي عليه قصد رسول الله ﷺ، وهو أن بيت النبـوة يجـب أن يـأرز بعضهُ إلىٰ بعض، ويضم بعضه إلىٰ بعض.

ألا ترىٰ أن ذرية محمد ﷺ لم يكونوا إلا من علي وفاطمة؛ حتىٰ لا تخرج الذرية عن السلالة الإبراهيمية، ولم يكن لمحمد ﷺ ولد يعقـب إلا مـنهما معا، إضافة إلىٰ قوله ﷺ: «جَعَلَ اللهُ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي صُلْبِهِ، وَجَعَلَ ذُرِّيَّتِـي فِي صُلْبِ عَلِيٍّ؛ فَأَنَا أَبُوهُمْ وَعَصَبَتُهُمْ»، ومـن أنكـر هـذا فقـد لحـق بـرأي العاص بن وائل أن محمدًا أبتر؛ فاقرأ عليه: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾.

وألا ترى أن سيدة نساء العالمين حجبت عن كل راغب فيها حتى خطبها أخو رسول الله فأذن له من السماء فأنكحه إياها؛ كل هذا حماية لبيت النبوة أن يشوبه غيرهم، أو يلصق به سواهم.

فصل منه

لو أن فصحاء قريش، أو أن عليًّا على قوة بيانه مدح نفسه ما بلغ الدرجة التي مدحه بها رسول الله ﷺ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»، وَ«أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، و«أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ»، و«أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» .

نعم: لو وقفنا مع «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»، وفتشنا عما تحويه هذه العبارة المباركة، والمدحة المحكمة البليغة، والصفة العلية- لوجدناها لغرضنا كافية شافية، بل لوجدناها فايضة على مدح المادح ووصف الواصف وثناء البليغ، وإنما نحتاج إلى ضم ما أشارت إليه لا غير؛ فنقول: ما هي منزلة هارون من موسى التي بوأها محمد ﷺ عن أمر الله سبحانه عليًّا، وقرره فيها وأقعده على منصتها دون غيره؟ لنأخذ ذلك من كتاب الله ففيه أوضح بيان، موسى يدعو ربه ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾﴾ [سورة طه] ، وقف عند قوله: ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾:

أي عمق فيها، وأنه وزيره وشريكه، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾[الفرقان:٣٥] ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص:٣٤] هذه الآيات المحكمات المباركات كلها تبيان لقوله ﷺ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ إِلَّا النُّبُوَّةَ» وتفسير لها، وكلٌّ وحيٌ من عند الله سبحانه؛ فما أوتيه هارون موسى أوتيه هارونُ محمدٍ ﷺ: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾، ثم اربط هذا المعنى الذي ظفرت به من الوحي «كتاب الله وسنة نبيه» بما قاله الرسول ﷺ حين أنذر عشيرته الأقربين «أَنْتَ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي»؛ لترى أن النبوة ضياؤها لا يحجب ونورها لا ينقطع؛ فهي وإن مات محمد ﷺ؛ ففي بيت النبوة من يحمي ويحرس، ويسقي ويغرس، «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا كِتَابَ اللهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي» ثم قف مع قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا﴾ كيف تعانق ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾ وتلتقي مع ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ ثم تجمعهن في مقر واحد مع قوله ﷺ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ»، «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ»، «أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، ولست بخائض في قوله ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»؛ إذ لم يقدر أحد على مسها بسوء في السند ولا في المتن إلا أن بعض القالين شكك في مدلول «مولى»، وتعدد معانيها، وتشكيكه من السماجة في مكان لأمرين :-

أولًا : أنه في ذلك المقام وما أحيط به وما اكتنفه لا يحق له إلا أن يفسر بالأولى، ثم إنه في غرة سورة الأحزاب ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ﴾ فهي تعانق «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، ولغرة الحديث: «أَلَسْتُ أَوْلَى بِأَحَدِكُمْ مِنْ نَفْسِهِ»؟ قَالُوا: بَلَى.

ثانيًا : أن مولى بمعنى أولى وردت في القرآن: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الحديد:١٥]: أي أولى بكم، وفي شعر النابغة في معلقته:

فَغَدَتْ كِلَا الْفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا

قال ثعلب: إن مولى في البيت بمعنى الأولى.

آية الولاية(١)

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾[المائدة:١٥٥].

نعم كونها في عليٍّ عليه السلام غير مدفوع، ثم لا يخفاك أن القرآن قد يذكر شيئين: **أحدهما**: معلوم الحكم عند المخاطب وليس بمقصود، **والآخر**: هو المقصود ليجعلهما في الحكم سواء.

مثل قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ [الأحزاب: ٤] هذا معلوم وليس بمقصود، إنما المقصود قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ﴾ هذا المقصود بالحكم، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥٣] هذا معلوم وليس بمقصود وإنما المقصود قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ

---

(١) قال الإمام عز الدين بن الحسن عليه السلام في كتاب المعراج ٤/ ٤٤٩ مالفظه: قد استدل بآية أخرى – غير آية الولاية – على مسألتنا (إمامة علي بعد رسول الله بلا فاصل) هي قوله تعالى: ﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ﴾[آل عمران:٦١] قالوا: فالمراد بالنفس نفس علي عليه السلام؛ لأنه لا يتصور أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو نفسه؛ فإن ذلك عبث؛ والمراد بالأبناء الحسنان، وبالنساء فاطمة، أطبق أئمة النقل وجمهور العلماء على ذلك، وادعى بعضهم إجماع الأمة عليه؛ فإذا أريد بعلي عليه السلام نفسه صلى الله عليه وآله وسلم؛ فكيف يصح في نفس هي نفس رسول الله أن يلزمها طاعة غيرها والدخول تحت أوامر الغير ونواهيه؟!!! هذا ما يدفعه العقل والسمع. اهـ المراد.

مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾[الأحزاب:٥٣] .

وهاهنا ولاية الله ورسوله معلومة لدى كل مؤمن؛ وإنما هم يجهلون ولاية علي عليه السلام، وهي المقصودة فقرنت بولاية الرسول؛ ليعلم اتحادهما ووجوبهما واستواؤهما في الحكم؛ وَلَمَّا سبق في علم من عنده مفاتح الغيب أنها ستمس بالتأويل عند بعض القالين أردفها سبحانه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٦٧] ، ثم أردف آية التبليغ بقوله سبحانه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾الآية [المائدة: ٦٨] وإذا تأملت هذا النصَّ الإلهي ووقفت عنده- وجدته يشير إلى سابقِ واجبٍ تراخى المصطفى عن تبليغه حتى جاء النص دافعًا له إلى البلاغ دفعًا مهددًا له بأنه إن لم يفعل حبط سابق تبليغه من الرسالة!.

نعم: ذلك أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يَظن به بعض ضُعفاء العقيدة والذين قَصُر إدراكهم عن إدراك مقام رسول الله أنه يُحابي ابن عمه جاعلًا له من تلقاء نفسه ما لا يجعله لغيره وهو يربأُ بنفسه عن هذا، ولا يريد أن يهلك فيه من لا علم عنده، ولئن كانت الآية يحمل ظاهرها تهديدًا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بإحباط عمله إن لم يبلغ؛ فهي تحمل في باطن النص تهديدًا لمن يُخاطَب بها أنه إن لم يعمل بها حبط سائر عمله!.

بلغ ما أنزل إليك

ما هو الواجب الذي أمر بتبليغه فبلغه النبي ﷺ بعد هذا التهديد؛ فيجب أن يكون من الدين بمكان، وأن لا يناله أي تقصير، ولا يلحق المكلف به أي تهاون؛ لأنه أضحى عِدْلًا لما سبق تبليغه؛ وقد فتشنا في التاريخ وسنة رسول الله ﷺ فلم نجد أي أمر يلفت النظر ويستحق أن يكون بهذا الخطر وبهذه المكانة، لم نجد سوى ولاية أخيه، وإخلاء عهدته ﷺ من تحملها بالبلاغ الواضح والبيان الصريح ، وحملهم على الوفاء بها، وعدم التخلف عن حمايتها ورعايتها؛ لأن عليهم عهدًا وبيعة أن يفوا بكل واجب؛ ليستحقوا أجر ثواب البيعة ورضوان الله المشروط بالوفاء: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح:١٠] ، وبعد حجة الوداع لم يتبقَ من عمره ﷺ غير ثمانين يومًا؛ فليس هنالك أي حدث سوى ترسيخ ولاية أخيه، وهو الحدث الذي كان غِبَّ التهديد؛ ولقد كان ﷺ شديد التحاشي في فرضها عليهم؛ ويشهد بهذا ما أسلفنا لما يعلمون من شدة لصوقه به؛ ولما يعلم هو من شدة حسد قريش، وما يكنه أكثرهم من البغض لعلي عليه السلام، لمواقفه البانية للدين، الهاذمة للكفر والكافرين، بل قِلى قريش لبني هاشم كما قال الجاحظ : لا تجد قرشيًا يحب هاشميًا ولا مخزوميًا متواضعًا ولا

زبيريًا سخيًا ولا ..... الخ .

ومع شدة تحاشيه فقد أدلى بما فيه الكفاية وزيادة على أن كل ما جاء على لسان رسول الله هو عن أمر الله وحي يجب العمل به والوقوف عنده؛ فقد بَلَّغ بما يقطع كل مناظر، ويبهت كل مكابر.

وكان في وسعه ﷺ أن يقول: (مَنْ دَعَاكُمْ إِلَى بَيْعَةِ غَيْرِ عَلِيٍّ فَلَا تُجِيبُوهُ أَوْ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ) لكنه أحرص الناس عليهم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨] ويمكن أنه وقع في خلده أن لو قال هذا لكانت فتنة عظيمة ومصيبة طامة، وأن يتم غير مراده؛ **فقد** سبقت له تجربتان: **إحداهما:** في الحديبية؛ حين قام عمر بما قام به، ولم يبق لرسول الله نصير سوى أم سلمة أشارت إليه - وقد دخل حزينًا شاكيًا عليها - أن يخرج فينحر ويدعوَ حالقه فيحلق، وهنا كان الفرج! .

والتجربة الثانية : حين جهَّز جيش أسامة، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يحثهم على الخروج كل ما أفاق من غمرته فتراخوا! وكان الجيش تحت سمعه وبصره ولم يُنَفَّذِ الجيشُ؛ لأجل هذا أمسك صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول كلمة تقطع الشك؛ خشية من فتنة عظمى وداهية دهياء.

استحقاق الخلافة

أمر حصل بجهد كبير وسعيٍ أُنفقت فيه الأوقات والأموال والأرواح، وأصبح ملاذًا لأهله ولمن لاذ به، وحماية ودرعًا؛ لا شك أن الناس يتفاضلون في الجهد المبذول لترسيخ قواعد هذا المكسب العظيم، وسيكون أشد الناس حرصًا على بقائه ونموه هو أحسنهم أثرًا في وجوده وزكائه وقوته؛ لأن جهده فيه لا يقاس بأي جهد، ولن تجد فردًا بعد رسول الله ﷺ له جهد يُضاهي جُهده- من أول بزوغ هلال هذا الأمر إلى أن مات الرسول ﷺ إلا جهد علي عليه السلام؛ فالكل يعلم أنه لا يضاهيه جهد، وأنه لا يقوم مقامه أحد، ولا يسد مسد ه أحد؛ ولقد كان يسد مسد الجيش، والجيش لا يسد مسده، هذا من جهة التصور العرفي والعقلي.

أما إذا رجعنا إلى أن لهذا الأمر اختصاصًا من الله سبحانه لبيت أو أسرة فلا نزاع.

محل الاختصاص

بيت النبوة من هم ؟ ولماذا ؟ وما هو الدليل ؟

هم آل محمد المتصلون بآل إبراهيم بطنًا وظهرًا وهم ذريته، لقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾[الحديد:٢٦] ، ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٥٤]، ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[البقرة:١٢٤]، فإن نازع في هذا حاسد فقل: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[الأنعام:١٢٤] ، ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾[الزخرف:٣٢] ولإحاطة العناية الإلهية بهذا البيت النبوي لم يجعل لنبيه -كما أسلفت لك- ولدًا ذكرًا يُعْقِب من سوى علي وفاطمة عليهم السلام حمايةً لهذا البيت أن يشوبه غيرهم ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾[الأحزاب:٤٠] يعني إنما هو أبو رجاله الذين هم وهو من أصل واحد من آل إبراهيم ابن تارخ وهو ﷺ أب للحسن والحسين والمحسن سلام الله عليهم ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[الشعراء:٢١٩] هذا البيت الإبراهيمي محمي عن عبادة الأوثان والسجود للأصنام، **ومَن** يراجع سيرة عبد المطلب وأبيه هاشم والتفات عبد المطلب إلى الله وإيمانه بقدرة

رب البيت على حمايته من أبرهة وجيشه وتمام بره لمحمد وإيصائه أبا طالب؛ لأن عبدالله و أبا طالب من أم وأب .

ومَن اطلع على شعر أبي طالب - وجده مؤمنا مصدقًا بمحمد ورسالته ، ومن شعره:

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا نَبِيًّا كَمُوسَى خُطَّ فِي أَوَّلِ الْكُتْبِ
لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لَا مُكَذَّبٌ لَدَيْنَا وَلَا يُعْنَى بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ

وقَسَمُهُ بأن لا يترك محمدًا أن يناله سوء ما بقي:

وَاللهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا

لا ولاية لمن سجد لصنم ولو أسلم

وقد ذهب بعض(١) أهل العلم إلى أن من سجد لصنم لا يصح ولايته لإمامة المسلمين؛ لقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة:١٢٤] ولا ظلم أعظم من الشرك.

ودعمًا لهذا الرأي وجدت في الجزء الثاني من تاريخ الطبري ص (١٦١

(١) وممن ذهب إلى هذا القول العلامة الحنفي الجصاص في أحكام القرآن في الجزء الأول تفسير سورة البقرة فقال: إن اسم الفاعل كظالم أي مشرك يطلق على من قام بالفعل ويطلق عليه حقيقة ولو بعد خروجه منه. اهـ من الارتشاف ملخصا.

،١٦٢) ما لفظه: حدثنا نصر بن عبد الرحمن الأزدي، قال: حدثنا محمد بن يعلى ... إلخ سنده إلى شداد بن أوس، قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ أَقبل شيخ من بني عامر، وهو مِدْرَهُ قومه، وسيدهم شيخ كبير يتوكأ على العصا، فمثل بين يدي النبي ﷺ قائمًا ، ونسبه الى جده؛ فقال : يا ابن عبد المطلب إني أنبئت أنك تزعم أنك رسول الله إلى الناس أرسلك بما أرسل به إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء، ألا وإنك قد فهت بأمر عظيم، وإنما كان الأنبياء والخلفاء في بيتين من بني إسرائيل، وأنت ممن يعبد هذه الأحجار والأوثان فمالك وللنبوة ؟! ولكن لكل قول حقيقة فأتني بحقيقة قولك وبدء شأنك، قال: فأعجب النبي ﷺ بمسألته: (أي عن أن النبوة والإمامة والخلافة لا تكون إلا فيمن لم يعبد الأصنام قط)، ثم قال: (يا أخا بني عامر، إن لهذا الحديث الذي تسألني عنه نبأ ومجلسًا فاجلس)، فثنى رجليه ثم برك كما يبرك البعير فاستقبله النبي ﷺ بالحديث؛ فقال له : «يا أخا بني عامر، إن حقيقة قولي وبدء شأني أني دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى بن مريم»اهـ المراد . فقد أقره النبي ﷺ على قوله من أن الأنبياء والخلفاء من آل إبراهيم هم من لم يسجدوا لصنم قط .

وقول العامري للنبي ﷺ : (وأنت ممن يعبد هذه الأصنام): أي من قوم يعبدونها. أما رسول الله وعلي بن أبي طالب فلم يسجدا لصنم قط.

قاعدة أصولية

التنبيه على الأدنى وجعل الحكم فيه بكون المسكوت عنه وهو الأعلى أحق بالحكم مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[الإسراء:٢٣] المنطوق يحرم الأدنى وهو التأفيف، والمسكوت عنه وهو ما هو أشد من التأفيف أولى بالحكم منه كالضرب للوالدين ونحوه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة: ٧] من يعمل ما هو أكثر من مثقال الذرة أولى بالحكم .

نعم: وَلَمَّا سبق في علم الله سبحانه أن كل ما ورد في تأسيس ولاية أخي رسول الله «مَنْ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ» غير مقنعة للبعض، وأنها غير مانعة ولا رادعة- أنزل قبل حادثة السقيفة سورة التوبة، ولحكمة إلهية وإقامة حجة برهانية، دعا رسول الله لتبليغها عنه أبا بكر وولّاه على تبليغها عنه؛ لقطع العهد بين الله ورسوله وبين المشركين، ونص الآية :﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ ... إلخ، ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾[التوبة:٣] وفي الآيتين لم يُذكر المسلمون لا فرد ولا رهط في العهد والأذان؛ إذ ذكر من جانب الإسلام (الله ورسوله)، ومن جانب الكفر (المشركون)؛ فغير الله ورسوله لا يؤدِّي هذا؛ لأنها من أعباء النبوة وأركانها وأُسسها؛ فلا يصح أن يتولاها شخص من غير بيت النبوة؛ لعدم الأهلية، وإذا كان المولِّي للغير في التبليغ لبراءة هو النبي ﷺ كما وقع من

تولية أبي بكر أوَّلًا لتبليغها؛ فلا بد أن يكون الباعث والمبعوث من بيت النبوة .﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ والنبي ﷺ يحاول بكل وسيلة ذب التهمة عن نفسه، (أنه مايل مع أخيه يعطيه فوق ما يستحق، حتى حين انتجاه قالوا: «قَدْ أَطَالَ النَّجْوَى الْيَوْمَ مَعَ ابْنِ عَمِّهِ»، وبلغته مقالتهم؛ فقال ﷺ: «مَا أَنَا انْتَجَيْتُهُ وَلَكِنَّ اللهَ انْتَجَاهُ»)؛ ذبًّا لهذه التهمة دعا أبا بكر وولاه على أدائها : (أي سورة براءة).

نعم: كونه دعا أبا بكر وولاه على أدائها لا قول فيه، وهو في الصحيح من حديث أبي هريرة، وعند أحمد، وأبي يعلى من طريق روح ابن أبي إسحاق، عن يزيد بن منيع، عن أبي بكر: أن النبي ﷺ بعثه ببراءة إلى مكة فسار ثلاثًا، ثم قال لعلي: «إلحقه ورُدَّ عليَّ أبا بكر وبلِّغْها ففعل، قال: فلما قدم أبو بكر إلى رسول الله ﷺ بكى وقال: يا رسول الله حدث فيَّ شيء؟ قال: «مَا حَدَثَ فِيكَ إِلَّا خَيْرٌ، لَكِنِّي أُمِرْتُ أَنْ لَا يُبَلِّغَهَا إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي». وقريب منه ما في المستدرك من حديث ابن عمر انتهى من تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي، ثم الحافظ ابن حجر ج ٢ ص٣٤٣ فعُزل أبو بكر في أمر جزئي من أمور النبوة بأمر من الله نزل به الروح الأمين؛ للتنبيه على أن ما يتعلق بالإمامة والنبوة لها بيت مخصوص، بيت إبراهيم ﷺ ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾، ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾؛ للتنبيه على محل الإمامة، وأدل من هذا كله حديث المهدي في آخر الزمان

هل فيه خلاف أنه من ولد النبي ﷺ؟ كلا بل إن الإجماع منعقد أنه من ولده: إما من حسن أو من حسين، مع بُعد المسافة الزمنية بين النبي والمهدي، وأن ولاية أمر الأمة محله في هذا البيت؛ قطعًا للأطماع وذرائع حب الدنيا لما كان ما سبق، كان تعيين أبي بكر من رسول الله أوَّلًا وعُزِلَ من الله ثانيًا؛ لأنه سبق في علم العليم أن أبا بكر هو الذي سيعقد له أمر خلافة رسول الله في السقيفة؛ ليكون الإبرام والنقض على شخص واحد، وبمرأى ومسمع من أمة محمد ﷺ؛ فيقال لهم: ولَّيتم من عزله الله، وأنزل الروح الأمين على محمد بعزله، وأقصيتم من ولَّاه الله !!!!

ومن تابع وقائع السقيفة وجد أن أبا بكر لم يكن راغبًا فيها، وكان يريدها لعمر أو أبي عبيدة لولا سطوة عمر، وشدة وطأته، ثم قل لي بربك: هل طمع فيها أحد من بني عدي أو بني عبد الدار أو ظن أنه أهل لهذا المنصب مع وجود أولاد رسول الله ﷺ؟ أوأن كل واحدٍ منهم ومن غيرهم كَفُّوا عما ليس لهم ونزعوا عمَّا هو لغيرهم، وبايعوا وقاتلوا مع أولاد رسول الله ﷺ وقتلوا مؤمنين بأنها لهم وفيهم، كما علم ذلك أسلافهم، وكما يقول الشاعر:

تَاللهِ مَا جَهِلَ الْأَقْوَامُ مَوْضِعَهَا ... لَكِنَّهُم كَتَمُوا وَجْهَ الَّذِي عَلِمُوا

وقد اعترف عمر بأن بيعة أبي بكر كانت فلتة كفى الله شرها! فمن دعاهم إلى مثلها فليضربوا عنقه!!

نعم: إنها فلتة وفتنة لكنها لم يكف الله شرها بل شرها مستطير! وسيبقى إلى اليوم الذي كان شره مستطيرا؛ لأنها أخرجت الإمامة من البيت الذي أهله الله لها واختصه بها؛ ولولا هذه الفلتة ما استبيحت المدينة! وخُتِمَ على الأنصار أنَّهم عبيد ليزيد! وانتهكت المحارم! وأبيحت النساء ثلاثة أيام! ولولاها ما قتل ابن رسول الله الحسين بن علي!! ولا تولى رئيسُ القاسطين ابنُ مَنْ حاربَ اللهَ ورسوله بماله ورجاله في كل غزوة !! ولولاها ما تولى مروانُ الناسَ ولا أبناؤه الفسقة! ولا هدمت الكعبة! ولا قتل الإمام الأعظم زيد بن علي وحرق وصلب! ولله القائل:

وَكُلُّ مُصَابٍ نَالَ آلَ مُحَمَّدٍ فَلَيْسَ سِوَى يَوْمِ السَّقِيفَةِ جَالِبُهْ

وَاللهِ لَوْ تَرَكُوا الْخِلَافَةَ حَيْثُ مَا وُضِعَتْ لَمَا فَرَعَتْ أُمَيَّةُ مِنْبَرَا

«وَإِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، أَوْ عَبْدٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ» . الإمام علي ابن أبي طالب .

المبحث الثاني: (تأملات في السنة النبوية رقم ١)

يقف الباحث وقفة تدبر وتأمل في بعض أغراض كلام سيد المرسلين- فيجد أنه صلى الله عليه وآله وسلم تناولها أكثر من إلزامه بشيء عملي واجب يقوم أصحابه به، أو تحريضه من محرم ألفوه يحضهم على التفصي عنه؛ وذلك مثل تكريره وصايته بأهل بيته وأفلاذ كبده وكشاف الكرب عن وجهه أخو رسول رب العالمين، وهارونه، ووزيره مما يوحي بأنه قد أوجس في نفسه خيفةً مما سيلقونه بعده، وينزل عليهم بعد لحوقه بالرفيق الأعلى؛ فيقول ترغيبًا وترهيبًا «أُوصِيكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» ... «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» ...«أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَسَائِلُكُمْ عَنْهُمْ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمْ»....وَ«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا كِتَابَ اللهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي؛ إِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ نَبَّأَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»، «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي» في مقامات عدة وبعبارات مختلفة.

وثقل الإنسان هو المتاع الذي يسافر به ويحتاجه عند تمام الرحلة؛ ولا تتم إقامته إلا به .

فأهل بيته: ثقله الذين لا يستقر له حال إلا بهم؛ وقد كتب عليه أن يسبقهم ويتركهم؛ فأوصى مكررًا ومرددًا، مرغبًا ومرهبًا، وفاطمة

صلوات الله عليها قد أوجست هـذا؛ ولهـذا بكـت حـين سـارَّها برحيلـه، وضحكت حين قال لها: «أَنْتِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لحُوقًـا بِي» كأنهـا تحمـل بـشارة بفكاكها من الأسر! وخلوصها مـن المحنـة! وإطـلاق سراحهـا مـن قـريش وضغائنهم؛ لأن سيدة نساء العالمين وأم أولاد رسـول الله ﷺ وزوجـة أخيـه وهارونه هي من تمام الإدراك، وكمال التصور بمكان؛ فقد عرفت أن وجوهًـا ابتسمت في وجهها في حيـاة أبيهـا سـتتنكر، وألـسنة أثنـت عليهـا سـتجرح؛ علمت أنها بعد أبيها ستسود الشمس في عينها! وكانت في أيامه بيضًا لياليها.

ولقد كان من أعز الناس مقاما عنده كشاف الكرب عن وجهـه، الـذي لبى دعوته لمبارزة عمرو، الذي كان يعدل بألف فارس؛ ولهذا كـان يقـول له النبي ﷺ: «إِنَّهُ عَمْرٌو» فيقول: «وَأَنَا عَـلِيٌّ»، ويقـول للقـوم: مـن يبـارز عمرًا وأنا ضمين له على الله بالجنة؟؟!! فلم يجبه عند ذاك مجيـب؛ «لَـضَرْبَةُ عَلِيٍّ تَعْدِلُ عَمَلَ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَـةِ»، ومـا رجعـت لـه رايـة مهزومـة لا في وادي السيل، ولا في خيبر، ولا في غيرها، ما حمل راية رسول الله غيره، مـا كان في سرية إلا كان أميرها، كانت ضرباته أبكارا: يعنـي لا يعيـدها - إن عارض قط ، وإن قابل قـدّ - ومـن الـضروري أن يكـون لـه أعـداء ممـن أسلموا ممن قتل علي أباه وأخاه أو أحد أقاربه؛ لأن ثأر الدم لا ينام؛ ولأنـه كان صادقًا مع الله ورسوله لا يبالي بعد رضـا الله ورسـوله برضـا أحـد أو سخطه؛ ولهذا وسمه المـصطفى ﷺ بخـير وسـام: «لَا يُحِبُّـكَ مُنَـافِقٌ، وَلَا

يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ»، وبوسام: «يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ كَرَّارٌ غَيْرُ فَرَّارٍ»؛ فهي صفات تميز بها، ووسامات منحها، ونعوت عرف بها؛ فكان من حقه أن يكون حبُّ الله ورسوله له من نوع خاص، وكأن الله ورسوله لا يحب سواه، لهذا ولغيره من المواقف العلوية المباركة التي دلت على امتزاج النفس المحمدية بالعلوية حتى يقول ﷺ: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ»، واختصه بالأخوة دون غيره: «أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ أَخِي ....» الخ.

وَآخَاهُ مِنْ بَيْنِ الْأَنَامِ وَإِنَّمَا يُضَمُّ إِلَى وُسْطَى الْعُقُودِ مَثِيلُهَا

لهذا أعطاه أوسمة لم يعطها أحدًا غيره، بعضها تفتقر إلى إعمال الفكر وإسعاد الروية: مثل قوله ﷺ: «سَتُقَاتِلُ بَعْدِي النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ»؛ ليتخطى رسول الله حرب الردة ولم يشر إليها بكلمة، وكذا حروب الفتوح، ويمد طرفه إلى المعارك التي يديرها أخوه ووصيه، وباب مدينة علمه؛ فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: «سَتُقَاتِلُ بَعْدِي ....» إلخ؛ ليضفي الشرعية التامة على جهاده وشهادة من قتل معه، وخيبة الطرف الآخر المقاتل له؛ إذ لا يمكن عقلًا ولا شرعًا شرعيتهما معًا ، وترى أن الذي أوتي الحكمة وفصل الكتاب صلوات الله عليه وعلى آله القائل: «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ»، كيف سجل بكلمة قصيرة معنى طويلًا، وطوى في أنحاء هذه الجملة المباركة: «سَتُقَاتِلُ بَعْدِي» تبيان

الناجي والهالك؛ فنعت مقام علي ﷺ بأنه نائب عنه، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «سَتُقَاتِلُ بَعْدِي»: يعني أن دورك المبارك في قتال أعداء الله لم ينته؛ فكما قاتلت في حياتي من حاربوا الإسلام بثياب الكفر فأنت ستحارب بعدي هؤلاء الذين حاربوا الإسلام بثياب الإسلام ومال الإسلام: أي شهادة بشرعية مقامه بعد هذا؟

وكأنه جدد له الأمر، وأعلم الناسَ وجوبَ الخروج تحت لوائه، والانطواء تحت طاعته، ونحا باللائمة على من تخلف لغير عذر، وهذه المعاني لامعة ومضيئة من الجملة المحمدية المباركة: «سَتُقَاتِلُ بَعْدِي» يضيء بها درب أخيه، وتكون نورًا بين يديه تمنع أي تشكيك أو تردد.

ثم يصف الطرف المقابل والمقاتل لأخيه ووصيه وباب مدينة علمه، ومن معه من المهاجرين والأنصار؛ فيسم كلًّا بما يستحق بوحي الله؛ لأنهُ ﴿مَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾[النجم:٣] وإذا كان وحيًا غير متلو فهو يلتقي مع الوحي المتلو بنفس العبارة؛ فيقول صلوات الله عليه وعلى آله واصفًا للباغي ومن معه (القاسطين)؛ ليتفق مع النظم الإلهي: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[الجن:١٥] فحينما قال صلى الله عليه وآله وسلم: (القاسطين) كأنه يفسر الآية ويبين مرادها المقصود بها ، ويبين مقرهم وعاقبة أمرهم؛ امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[النحل: ٤٤] فقد اتحد و تبين كلام الله وكلام رسوله

فسبحان من أجرى الحكمة البالغة على لسان رسوله الأمين؛ بهذا التفسير والبيان من خير خلق الله أرغم الجاهل والجاحد، وأقام الحجة على المعاند، وأقام الحجة على الذين تولوا أعداءه ونصروهم واحتملوا لهم، وكانوا معهم ومن أنصارهم، مشاقة لله ورسوله، كأنهم لم يقرؤوا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥] وسأبين لك في المبحث الثالث في بحث وتأمل قوله ﷺ: «وَيَدْعُونَـهُ إِلَى النَّـارِ» ما هو لصيق بهذا ومتصل به ومعانق له يفري أديم المفتري؛ فحذارِ من تولي أعداء الله؛ فالآن بعد ما جرى به قلمنا بفضل الله سبحانه حصحص الحق؛ لقد كان يجول في خاطري مالا أستطيع أن أجريه على لساني، كنت أقول: كيف ينتصر معاوية وحزبه على حزب الله وجنده والله تعالى يقول: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ ﴾[الحج:٤٠]، ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ١٢٦] ؟؟!!!لأني كنت أحصر وأقصر النصر على الغلبة في الدنيا حتى أعتقني الله من هذا الجهل، ثم مَنَّ الله سبحانه وتعالى بتوسع دائرة الفكر في معنى النصر، وأن منه تبيان حجتهم، ووضوح طريقهم، وتحقق نجاتهم، وموتهم على ما هم عليه من الحق؛ ولهذا فإنك ترى كثيرًا من الأنبياء ودعاة الإصلاح قتلوا، واستبد بالأمر مَنْ بعدهم

مِن الفسقة وأعداء الحق؛ ذلك لأن الدنيا والآخرة عند الملك الجليل حلقة واحدة؛ فالمعارك لم تنته، ولم يحسم فيها بنصر لأحد؛ فالنصر والهزيمة يوم يفصل الحق بين العباد؛ ولهذا سمي يوم الفصل؛ فالمنتصر بالبغي والمكر والخداع والدهاء مهزوم حقيقة، منصور تصورًا باطلًا، والقتيل الشهيد مقبلًا غير مدبر محتسبًا يريد وجه الله وحده، منتصر مكتوب له الفلج، بعد ظفري بهذه الفكرة النيرة، وهي مما مَنَّ الله به قلت: الحمد لله الذي نصر عليًّا وعمارًا ومن معهما على دعاة النار القاسطين.

«ستقاتل بعدي»

لماذا تخطى ﷺ حرب الردة ولم يشر إليها بشيء ولا ذكر أحدًا قتل أو قتل فيها؟ ولماذا لم يذكر الفتوح التي بلغت مبالغها ؟ ولا من قتل أو قتل فيها ؟

ومد طرفه إلى آخر المعارك معارك علي ﷺ وكأنه معه يوزع الجوائز ويضع الوسام: «وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ» ويذكر قتل الزبير، وأنه يقتل وهو غير مستحق للقتل؛ لأنه قد كان أقلع عن حرب أخي رسول الله وتاب وندم؛ فيقول: «بَشِّرُوا قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ»، ولم يذكر قاتل طلحة مع أنه قتل في معركة الجمل ضد علي ﷺ قتله مروان.

أتدري ؟

قال رسول الله ﷺ: «أَتَدْرِي يَا عَلِيُّ مَنْ أَشْقَى الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَشْقَى ثَمُودَ، وَمَنْ يَخْضِبُ هَذِهِ- وَمَدَّ يَمِينَهُ الْمُبَارَكَةَ إِلَى أَخِيهِ- مِنْ دَمِكَ»

هكذا يصور لك رسول الله ﷺ أنه مع علي في بقية حياته حتى يلحق به في الرفيق الأعلى.

لماذا لم يذكر قاتل عمر بن الخطاب ؟ ولم يذكر قتلة عثمان؟

الجواب: أن رسول الله ﷺ يمشي مع الوحي إذا مشى، ويقف إذا وقف، ولو أعطيت هذه الكلمة: «أَشْقَى الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ» فضل تأمل وزيادة روية وامتحنتها وفحصتها- لوجدت فيها لعلي ﷺ لآلئ لم تثقب، ولم ينلها أحد من الأولين ولا من الآخرين، تحقق لك قول الحسن السبط عليه السلام عند فقد أبيه: «لَقَدْ فَارَقَكُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ مَا سَبَقَهُ الْأَوَّلُونَ وَلَا لَحِقَ بِهِ الْآخِرُونَ»، والحسن هو الحسن.

ماهي اللآلئ؟

قد ثبت عن سيد المرسلين ﷺ قوله: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ».

لماذا كان قتل نبي بهذه المثابة؟ لأنهُ اعتداء على رسول الله وأمينه على وحيه ومبلغ شريعته؛ فله ذمة الله وإن كان قتل النفس أيًّا كانت بغير حق حرامًا، لكنها تتفاوت حرمته شرعًا وعقلًا.

بعد وقوفك على هذا الحديث وهو: «مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ»، عد إلى قوله ﷺ لأخيه عليه السلام: «أَتَدْرِي مَنْ أَشْقَى الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»؟ ما تفهم منه؟ وما تعنيه هذه الكلمة؟ أليست تنادي بلسان أفصح، وعبارة أوضح: أن قاتل نبي لا يبلغ إثمهُ وعقوبته قاتل علي؟ بلى، هي بهذا منادية، فعبارة (أشقى الأولين والآخرين) توحي بأنه استحق عقوبة قاتل سيد الأولين والآخرين: يعني أن قاتل علي كأنه قتل سيد الأولين والآخرين محمدًا ﷺ، كأنهُ ينادي على قاتله أنهُ قاتل لمحمد ﷺ؛ ولهذا وُسم بأنه أشقى الأولين والآخرين، ويفسره ويبينه قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾، وأنه سمى عليًّا نفسه، وأضافه إليه؛ فهو وسام لأمير المؤمنين صلوات الله عليه من أخيه بوحي الله سبحانه لا يبلغه وسام، ولا ينال مثله أحد بقلم ولا حسام، وفيه دلالة واضحة على تمام امتزاج الروح المحمدية بالعلوية: «أَنْتَ مِنِّي

وَأَنَا مِنْكَ، وَأَنْتَ أَبُو وَلَدِي، وَأَنْتَ حَامِلُ لِوَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فلله الحمد والمنة على ما مَنَّ الله به ورسوله على من أعز الله به الدين، وأرغم به الكافرين، ونسأله أن يميتنا على محبة رسوله وآله؛ فنعم الذخر، ونعم الوسيلة، وإياك وتلك الأقذارَ هِنْدًا ويزيدَ وأبا يزيد؛ فمن أحبهم أو دافع عنهم أو احتمل لهم فهو معهم ومنهم؛ ولا يبتلى بهذا إلا مَنْ أُهِّلَ له، قد علم الله باطنه، ومحض ضميره فولَّاه ما تولى.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

المبحث الثالث: (تأملات في السنة النبوية رقم٢)

بعد إكمالي البحث السابق قلت هذين البيتين من الشعر مقدمين لرسول الله ولأخيه علي صلوات الله عليهما وآلهما:

يَرْجُو شَفَاعَتَكُمْ وَيَهْوَى قُرْبَكُمْ وَالْبُعْدَ مِنْ دَارِ ابْنِ هِنْدِ الْقَاسِطِ

(يدعونه) و (القاسطين) كلاهما قد أنقذا من مثل قول الخابط

وهذه الكلمة مدادًا لما سبق في بحثنا في: «يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ».

في كتاب «در السحابة» لمحمد بن علي الشوكاني ص٣٥٩ ما لفظه: أخرج البخاري عن سعيد قال: «كنا نحمل في بناء المسجد لبنةً لبنة وعمار يحمل لبنتين فرآه النبي ﷺ وجعل ينفض التراب عنه ويقول : «وَيْحَ عَمَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ» ولم يذكر الحميدي في الجمع «تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ»، ولكن أخرجه بهذه الزيادة البرقاني، والإسماعيلي، وأخرجه بهذا الزيادة جماعة من الأئمة عن جماعة من الصحابة منهم قتادة بن النعمان عند البخاري، وأم سلمة عند مسلم، وأبو هريرة عند الترمذي، وابن عمر عند النسائي، وعثمان وحذيفة وأبو أيوب وخزيمة بن ثابت ومعاوية وعمرو وأبو اليسر وعمار نفسه كله عند الطبراني بأسانيد غالبها صحيحة أو حسنة، وأخرجه البزار بهذه الزيادة من حديث أبي هريرة

بإسناد رجاله رجال الصحيح. وهذا الحديث من معجزات النبوة؛ لأنه قد وقع ما أخبر به الصادق الأمين. اهـ المراد .

يعني أنه قد دعاهم إلى الجنة ودعوه إلى النار وقتلوه .

ألم تر إلى هذا النبي الرحيم بالمؤمنين ينفض بيده المباركة التراب عن عمار، وبعد أمة ينفض بها التراب عن زميل عمار وأميره ورفيقه في المسير والمصير في غزوة خيبر ويقول: «قُمْ أَبَا تُرَابٍ» يدعوه ليزيل بسيفه ما حَلَّ به من انكساف البال من رجوع رايته ﷺ مهزومة مرتين، ويقول: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا». نعم: هو رجل ولكن «يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ» من نوعٍ خاص «كَرَّارٌ غَيْرُ فَرَّارٍ» هذه الصفات لو كانت في من حمل الراية قبله لفتح، لكنها انحسرت عنهم وانحصرت فيه، فتوقف الفتح على وجود رجل يجمع بينها ويتصف بها، فانظر إلى تمام التقارب بين أولياء الله ، تراب في أبي تراب، وتراب في عمار تنفضه عنهما يد الرحمة يد رسول رب العالمين ﷺ.

نعم هذا الحديث هو من أدلة النبوة وشواهدها، يرويه جمع من الصحابة، بل يرويه معاوية وعمرو!!! قل: سبحان الله !!! ما أصدع حجته !!! وما أوضح برهانه! وما أقوى سلطانه! يرويانه؛ ليعلم كل ذي عقل أن قضية معاوية ومن معه في محاربته لعلي عليه السلام ومن معه من بقية البدريين وسائر المهاجرين والأنصار ليس لأن القضية اكتنفها لبس أو

غموض أو إجمال؛ لأنه ما بعد بيان رسول الله ﷺ من بيان؛ وقد شاع فيهم هذا القول المبارك، وانحسر عنه الخفاء حتى رواه من هو حجة عليه رئيس القاسطين من دعاة النار ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ﴾[الانفال: ٤٢]، ولو وقفت وقفة تأمل لفحص المقتضي ، والداعي لهذه الحرب لعلمت أن القضية قضية أرواح تعلقت بما يليق بها ولصوقها بما هي كجزء منه؛ فتعلقت الأرواح الطيبة (روح علي ﵇ ومن معه) بما يتفق وطيبها ونزاهتها وصدقها في إيمانها، وبما ينسجم في عقيدتها ويمضي بها في درب النبوة التي لم يفارقهم نورها، وإن مات النبي ﷺ ؛لأن نور النبوة لا ينقطع عن المؤمن؛ لأن شعاعها ينبثق من القرآن، ومن السنة المطهرة، والسيرة المباركة؛ فتعلقت روح علي وأرواح من معه بالدعوة إلى الجنة مصيرهم ومستقرهم، واستمر من مع علي ﵇ على هذا؛ لعلمهم باتصال السلوك المحمدي بالسلوك العلوي لاسيما مع تجديد عقد الولاية له ﵇ بقوله ﷺ: «سَتُقَاتِلُ بَعْدِي النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ»، و«مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ بَعْدِي عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ»، وتأمل لعمق العبارة المحمدية، وما تقتضيه من تضمن الشرعية والتكريم معًا في قوله ﷺ: «سَتُقَاتِلُ بَعْدِي»، وفي قوله: «كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ»؛ فهي تعني أنك يا علي نائب عني، وقائم في هذا بأمري، وتحل محلي، وتنوب عني، وتتمم عملي؛ فخاذلك خاذلي، ومقاتلك مقاتلي، فدعاة النار

القاسطون محاربيَّ؛ كما دلت العبارة النبوية على تمام الامتزاج بين الـروحين والنهجين.

ولو تأملت ما جاء عن النبي ﷺ في أخيـه عـلي عليه السلام لقلـت : لـو مدحـه فصحاء العرب أوهو مدح نفسه لما استطاع أن يبلغ المنزلة التي أنزلـه النبـي ﷺ فيها؛ فقد حسرت دون أدناها الأفكـار، ومـا بلغتهـا الأمـاني، ورجـع الطرف دونها كليلًا؛ فسبحان من أجرى خلاصة البلاغة على لـسان رسـوله الأمين ﷺ، وهي في نفس الوقت بشارة لمن قتل معه بـالفوز، وأنهـم ليـسوا ممن يقال فيهم: «لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»! نعم تعلقت كل هـذه الأرواح الطيبة بالطيب؛ فتجرعـت كـل مـشقة، واستـسهلت كـل صـعب، مـضت لسبيلها بلهفة وشوق؛ لينالوا ما أرصـده الله لأوليائـه المنطـوي تحـت قولـه سـبحانه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٧]، لا يريدون سـبيلًا غـيره رغـم مـا كـان يمنـيهم بـه الصعلوك من الدين أبو يزيد ويعدهم ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأسراء:١٢٠]؛ لأن الله سبحانه قد قسم بين عباده فقـال: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ [النور: ٢٦]، وما بعد قسمة الله من مزيد، وما عنها من محيد .

وكما تعلقت أرواح من مع أمير المؤمنين عليه السلام بالطيب تعلقـت الأرواح الخبيثة بما يساويها دنـسًا وخبثـًا، تعلقـت بالـدعوة إلى النـار، ومحاربـة الله

ورسوله وما جاء به.

ويا للأسف قد وجد رئيس القاسطين له طريقًا معبدًا لإحياء سنة أبيه الذي حارب محمدًا ﷺ ومن معه في كل معترك؛ فهو يحارب من حارب أباه، وعلى ما حارب عليه أبوه؛ فالقضية قضية أرواح خبيثة شريرة ألفت الكفر ومردت عليه، وعجنت به روحها به فقاتلت في سبيله في الجاهلية أولًا وفي الإسلام ثانيًا، ثم استخلف يزيده ليتمم مسعاه؛ لعلمه أنه نسخة منه؛ فحارب الأنصار الذين حاربوا أباه وجده، واستحل مدينة رسول الله ﷺ ! فانتهكت فيها الحرم! واغتصبت العفائف! وبايعوا ليزيد أنهم له عبيد!! إلا علي بن الحسين عليه السلام، وهل يزيد بكل جرائمه إلا سيئة من سيئات رئيس القاسطين؛ لأنه مدعو (أي يزيد) إلى النار مع سائر من دعاهم أبوه، من جعله النبي ﷺ هو وأتباعه ملحقين بالمشركين وآل فرعون من دعاة النار ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾[القصص:٤١]، ثم اعلم أن من كان من الدعاة إلى شيء فهو به ألصق ممن هو داخل فيه وليس من دعاته كما تقول: هذا في حزب كذا، وهذا من الدعاة إلى الحزب الفلاني؛ فالدعاة إلى النار أشد نكالًا وأفظع وبالًا ممن يقال: هو من أصحاب النار؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وقد جمعت الدعوة إلى النار بين المشركين وآل فرعون، وبين معاوية ومن معه؛ لأن الداعي

إليها ضال مضل قد تبوأ مقعد الشيطان، وآثر سبيله، وعبد هواه، ودعا إلى الضلال، وعض على الكفر بضرس قاطع، لا سيما من بذل الجوائز لمن قتل دعاة الحق، وسخر كل مجهود لرفع كلمة وليه إبليس؛ فالقضية كما قلت لك قضية خبث أرواح تعلقت بها انصهرت به؛ فهي لا تطيق الانفكاك عنه؛لما بينهما وبين الخبث من تمام الامتزاج وكمال الاتصال .

وهنا ذكرت كلمة عمرو بن عبيد رحمه الله «مَا خَلَقَ اللهُ النَّارَ إِلَّا بِالْحَقِّ»؛ لأن الروح الخبيثة لا علاج لها إلا الخلود في النار؛ وبهذا قضت الحكمة الإلهية ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وكما أن الروح الطيبة تأبى العمل الخبيث والروح الخبيثة تأبى العمل الطيب، كذلك العشير والجليس .. فالطيب لا يألف خبيثًا، والخبيث لا يألف طيبًا، هل يستقيم أن يألف عمار معاوية ؟ خلاصة الإيمان وخلاصة النفاق؟!! أو يألف عليًّا عَمْرو؟!!! منتهى الصدق والقداسة بمنتهى الخداع والمكر!!! لا يتأتى «لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا عَلَى الْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي؛ وذلك أنه قُضِيَ فانقضى على لسان النبي الأمي ﷺ أنه قال: «لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ».

نعم: ذلك لما بين الروحين العلوية والمؤمنة من تمام الاتصال، ولما بين الروح العلوية والمنافقة من تمام الانقطاع وكمال الضدية، كما بين الإيمان

والكفر، وما روي عن النبي ﷺ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّـدَةٌ مَـا تَعَـارَفَ مِنْهَـا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» يدور حول ما قلنا ويقضي بـه؛ فـإذا رأيـت من يحتمل لهم ويحسِّن قبيحهم فاردد ذلـك إلى تـشابه الأرواح وائتلافهـا، وأن الجامع بينها هو الخبث والمروق من الدين ومشاقة الرسول ﷺ أعاذنا الله وإياك منها، وجعلنا صـادقين حيـنما نقـول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وللحديث بقية آتية تحت عنوان: (الإيمان وولاية أولياء الله ومعـاداة أعدائـه)، وبـما فـصلناه وحصلناه يستبين لـك صـدق مـا قلنـاه في مقابلتنـا في صـحيفة الهويـة[١] الأسبوعية عمن دافع عن معاوية وصحبه من أنـه جاهـل يقـرأ كتـاب الله وسنة رسوله ولا يدري كيف يجمع بين المؤتلف؟ وأختمهـا بقـول الإمـام علي عليه السلام: «سَيُسْأَلُ عَمَّا جَرَى لِي مَـعَ مُعَاوِيَـةَ رِجَـالٌ لَمْ يَزَالُـوا فِي أَصْـلَابِ الرِّجَالِ»: يعني أن كل حزب مع من أيده؛ فمـن أيـد عليًّـا بفكـره وقلمـه ولسانه فهو معه، وكأنه جاهد معه بسيفه، ومن كـان مـع القاسـطين دعـاة النارفكرًا وقلمًا ولسانًا فكأنه حارب الله ورسـوله مـع أعـداء الله؛ ولـيس لأحد حجة بعد تمام الإيضاح وتمام البلاغ من الله ورسوله.

﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

---

(١) العدد رقم (٢٦) بتاريخ ١/ أغسطس/ ٢٠١٢م.

المبحث الرابع: الاصطفاء للنبوة والإمامة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد حمد الله حق حمده ، وصلاة الله وسلامه على محمد وآله؛ فإني أريد أن أحرر ما فيه براءة لذمتي وإخلاء لعهدتي، ما ترجح لي، وشغل خاطري في آل رسول الله ﷺ ؛ فكل مؤمن بلقاء الله خائفٌ من موقفه بين يديه إن قصر، أو تهاون، أو كتم علمًا حصل فيه خلط وخبط ، **فأقول**:

لا يخفاك أنها قضت الإرادة الإلهية بأن تكون الذرية النبوية والرسالة الإلهية في بني هاشم لا تخرج عنهم؛ ليتم اتصالها عن طريقهم إلى الذبيح فالخليل عليهما السلام؛ **فهما** إذًا أمران: **أحدهما** : أمر إيجاد : وهي الإرادة الإلهية المعبر عنها بـ(كن). **والأمر الثاني** : أمر إيجاب وهي نصوص الوحي ودلائله على وجوب بقاء الإمامة في بيت النبوة؛ لأنه منصبها الصحيح الذي يرضاه الله ويأمر به .

أمر الإيجاد

أما أمر الإيجاد فهو منوط بالإرادة الإلهية تنفذ تلقائيًا؛ فجعل نسل خاتم النبيين والذرية المصطفوية في صلب أخيه علي بن أبي طالب عليه السلام عن طريق عقيلة آل محمد سيدة النساء فاطمة الزهراء؛ ولا مجال في هذا الأمر لرغبة راغب، أو اعتراض حاسد، ولا لسخط، ولا لرضا، ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ

﴿أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[النحل:٤٠] رغم ما كان من الحرص الشديد في السيدة عائشة أم المؤمنين على حصولها على ولد من سيد ولد آدم ، تخضع به العرب والعجم؛ لأنها كانت شديدة الطموح، قوية الإباء، معتزة بعشيرتها ، ومجيء ولد لمارية وهي متأخرة عنها كثيرًا، أكسف بالها كثيرًا .

ثم انتقال الذرية المحمدية إلى صلب علي وفاطمة سلام الله عليهما كان هو أحد بواعث شنآنها لهما ، مع أنه لا يد لهما في خيبة أملها، وكانت حفصة أقل أملًا منها، إلا أن الإرادة الإلهية قضت أن لا تخرج الذرية الإبراهيمية عن مسارها الصحيح، وأن لا تخرج إلى تيم ولا عدي ولا غيرهما، بل تبقى فيمن اصطفاهم الله على العرب (بنو هاشم) ذكرًا وأنثى متصلين برسول الله ﷺ أتم اتصال ، واحة متصلة من محمد ﷺ بإبراهيم فيكونون أسرة واحدة يعنيهم جميعًا قول الحق سبحانه: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا﴾ الآية [النساء:٥٤] ، ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ﴾ [النسا:٥٥] ويندرجون جميعًا في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت:٢٧] ؛ لأن محمدًا وعليًّا من آل إبراهيم بطنًا وظهرًا ،أبًا وأمًا ، وآل محمد أيضًا داخلون مع محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [آل عمران:٦٨]؛ فهم داخلون مع هذا النبي دخولًا أوليًا نسبًا وملة، وآل

محمد هل هم إلا من محمد وعلي صلوات الله عليهما؛ وقد بيناه بيانًا شافيًا في كتابنا «كشف النقاب عن مذهب قرناء الكتاب» ، ولقد خُطِبَتْ عقيلةُ آل محمد حبيبة حبيب رب العالمين من تيم وعدي وغيرهما، لكن الإرادة الإلهية والقضاء المبرم في الأزل حال دون ذلك؛ لأن نتاجها هم ذرية رسول الله وهو أبوهم وعصبتهم ﴿نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ﴾[آل عمران:٦١] وعن طريقها تتصل الذرية المحمدية بآل إبراهيم ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾[آل عمران:٣٤] ، وكما أنه لا يتم الاتصال الصحيح ، والاتساق والانتظام الصريح ، لأولاد فاطمة عليها السلام إلى آل إبراهيم إلا عن طريق أخي رسول الله علي صلوات الله عليهما؛ لأنه هو ورسول الله نَسَلَا من أب واحد وأم واحدة، من إبراهيم إلى عبد المطلب، ثم حصل الفصل فمحمد ﷺ من عبد الله وخرج أخوه علي عليه السلام من أبي طالب، وحصل هذا الفصل بين محمد وعلي بالإرادة الإلهية؛ ليتم الوصل وينعقد من جديد: أي لأجل أن تحل فاطمة لعلي، ويتم الحفاظ على وصل السلسلة المحمدية بالسلسلة الإبراهيمية؛ وليتم الطباق بين الواقع وبين قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت:٢٧] ؛ إذ لو خرجا معًا من عبد الله أو من أبي طالب لما حلت للكريم هذه الكريمة المباركة، ولما وجدت لها كفؤًا من الناس، أو لخرجت السلسلة النبوية إلى رجال من قريش؛ فالحمد لله تم مراده، ونفذ قضاؤه؛ لأنه أمر إيجادٍ لا إيجابٍ

وتكليفٍ منوطٍ باختيار المكلف ورغبته، هذه السلسلة النبوية المباركة التي اتصلت بإبراهيم هم أهل الله في أرضه، وصفوته من عباده، وخيرته من أخياره ، ولله در الشاعر الفحل إذ يقول في مدح سيد أهل زمانه زين العابدين أبي زيد علي السجاد بن الحسين السبط بن أخي رسول الله ﷺ :

مِن مَعشَرٍ حُبُّهُم دِينٌ وَبُغضُهُمُ … كُفرٌ وَقُربُهُمُ مَنجى وَمُعتَصَمُ
يُستَدفَعُ السُّوءُ وَالبَلوى بِحُبِّهِمُ … وَيُستَزادُ بِهِ الإِحسانُ وَالنِّعَمُ
مُقَدَّمٌ بَعدَ ذِكرِ اللهِ ذِكرُهُمُ … في كُلِّ حالٍ وَمَختومٌ بِهِ الكَلِمُ
إِن عُدَّ أَهلُ التُّقى كانوا أَئِمَّتَهُم … أَو قيلَ مَن خَيرُ أَهلِ الأَرضِ قيلَ هُمُ
لا يَستَطيعُ جَوادٌ بُعدَ غايَتِهِم … وَلا يُدانيهِمُ قَومٌ وَإِن كَرُموا

أمر الإيجاب

وهو المنوط تنفيذه بالمكلف لا دخل للقدرة الإلهية فيه ليترتب الثواب والعقاب و﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الانفال: ٤٢] ، ولو كانت نبوة لميزها تجدد الوحي، لكنها إمامة انعقدت بآيات وأحاديث، هذا الأمر هو الذي أنيط بموضع الإمامة وموضوعها، وقد تبناه الوحي من الكتاب والسنة أمرًا ونهيًا وترغيبًا وترهيبًا وتشبيهًا، وضرب أمثال بعبارات واضحة وآيات محكمة قرنت بالترغيب والترهيب تدل كلها على أن مقام الإمامة ومنصبها هم آل بيت رسول الله، وأنها بادي ذي بدء في أشد الناس بلاءً في هذا الدين وأكرمهم مقامًا وأتمهم تنفيذًا

لأوامره في غزواته وسراياه ، (معجزة رسول الله ﷺ) كما قال الحسين بن أحمد السياغي في مقدمة كتابه «الروض النضير» من كان في كل مشهد لم ترجع له راية خائبة ولا مهزومة، وإنما كل غزواته مكللة بالنصر والفتح المبين ، دمر آمال الكفرة، وفتح حصونهم ، وأرغم معاطس كبرائها وأذل كبرياءها (علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) أول الناس إسلامًا، وألصقهم برسول الله نسبًا ونفسًا وسلوكًا، ولما كانت الإمامة هي منبثقة عن النبوة، وتفرعت عنها، وكانت النبوة لا تصلح ولا تصح إلا فيمن اصطفاهم الله من العرب لا كفو لها من غيرهم، كذلك ما كان نتاجها وثمرتها وحارس مبدأها وحامي حماها، وهي الإمامة لا تصلح إلا في المنصب الأول؛ ولهذا احتج المهاجرون على الأنصار بقربهم من رسول الله ﷺ؛ فقالوا للأنصار: نحن شجرة رسول الله ، وقال علي عليه السلام: احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة؛ على أنها قد رسخت ولاية علي عليه السلام وإمامته في يوم غدير خم وقبله وبعده بأساليب مُفْتنَّة، وعبارات متنوعة؛ لكي لا يبقى لمخالف عذر، ولا لمعتل علة ، ولا لمتجاهل شبهة.

ثم إني لا أدري بأي مقام أبدأ فكلها تعتلج في صدري وتجول بخاطري ، وسأبدأ أوَّلًا بالصلة الروحية بين محمد وعلي؛ ليتبين لك أيها المنصف أن من يحاول الفصل بينهما فهو يحاول الفصل بين الدماغ والعقل، أو بين الروح والحياة، وهي كمحاولة الفصل بين النبوة والإمامة.

المبحث الخامس:

بحث في سبب اقتران آل محمد بآل إبراهيم في تشهد الصلاة

أما بعد، فإن الله سبحانه جعل الأمور مرهونة بأسبابها، ومتوقفة على مؤثراتها توقف المسبب على سببه والمشروط على شرطه ، وجعل ما عنده لا ينال بأي سبب إلا بسبب القربة المرهونة به؛ ولا شك أن درجة النبوة على الأنبياء محصورة، ولكل منهم درجته؛ وحينما أوحى الحق سبحانه إلى عبده ووليه ورسوله محمد ﷺ بالصلوات الخمس الإبراهيمية (صلِ وبارك ... إلخ) ، وقرن فيها آل محمد بآل إبراهيم، وآل إبراهيم أنبياء ، وآل محمد أولياء وأصفياء- كان لابد من أعمال عظيمة تمنحهم الزلفى، وتدنيهم من المقام الأسنى؛ فخصهم الحق سبحانه بمواقف تزل فيها أقدام الراسخين، ومعارف يقصر عنها مقام أكثر العارفين، وناهيك بما حل بهم من التمحيص أدناه :إغماد للسيوف في الهام ، ورمي لخيارهم بالسهام، ودحرجة للرؤوس، وإزهاق للنفوس . **«والجود بالنفس أعلى غاية الجود»**، ولله در القائل :

كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ إِنَّمَا نَفَقَاتُهُمْ مَالٌ وَقَوْمٍ يُنْفِقُونَ نُفُوسَا

على أن أخيارهم أسخى بما في أيديهم من الغمام .

ثم إن الله سبحانه وتعالى قد جعلهم كعبة الصلاح ، ومناخ الفلاح، وسفينة النجاة ، ورواد الإخلاص والمناجاة .

فهذه الاختبارات الربانية، والمنائح الرحمانية أهلتهم مع رحمة الله سبحانه وتعالى لشرف الاقتران، بسادة الإنس والجان ، في صلوات الملك المنان .

وإذا تأملت هذا فكله عائد على فضله سبحانه على نبيه ورسوله محمد ﷺ مندرج تحت لواء: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[الضحى:٥] حتى لا تفارق البنت (فاطمة) أباها، والأخ (علي) أخاه ، والريحانتان (الحسن والحسين) والدهما، ثم يأتي بعد هذا تفضل الحق سبحانه المنطوي تحت قول الحق سبحانه: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور:٢١] والعلم لله سبحانه .

المبحث السادس: بحث في آية المودة

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ ﴾[الشورى:٢٣]

سألني بعض طلبة العلم عن قوله تعالى:﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ ﴾ : لِمَ جعلت محبة آل بيت رسول الله حسنة مقترفة ولا تكاد تستعمل كلمة الاقتراف إلا فيما يشين ولم تستعمل في عمل صالح قط إلا في هذا المقام؟

الجواب: والله وحده هو الهادي إلى الصواب

اعلم -أسبغ الله عليك نعمة التوفيق- أن الاقتراف، وإن كان فيه معنى الجمع إلا أنه إن كان مضافًا إلى شخص فهو عمل سوء ، ولم يقترن «يقترف حسنة» إلا هنا، ويقال فيه: فلان قرف فلانا وهو مقروف بكذا إذا نسب إلى سوء ورمي به، وأصلها من قشر وإزالة لحا العود ، أو قشر الجلدة عن الجرح ، ولما كان من علمه من وراء كل حادث سابقٌ قبل الوقوع عالمًا بأن في هذه الأمة رهطًا من المسلمين ممن يؤخذ عنهم الدين ويقتدى بهم، ويوسمون بالصلاح، سيجعلون حب آل بيت رسول الله سيئة تمنع من أخذ الدين والعلم عنهم والصلاة خلفهم، ويحكم عليهم (ضلال هالكون)، و(روافض غلاة)، ويتوارثون هذا جيلًا بعد جيل،

حتى كأن الله ورسوله أوصى بذلك، وكأن الله سبحانه جعل حب آل بيت رسول الله جريمة حائلة دون مودتهم وقبول أقوالهم وأخذ العلم عنهم، ومن ثم ترى من رعى حقهم لا يؤخذ عنه ولا يصدق ولا يقبل حديثه ولا روايته، ولا يصلى خلفه، ولكن يجرح بأن يقال: «هو شيعي»، وهذه المصيبة الشنيعة أحدثها السلطان الأعظم، وتداولوها وتوارثوها حتى رست قوائم أكثر أمور الدين على هذا الأساس الهاري؛ فلما كان قد علم من أحاط بكل شيء علمًا أن بغضهم للعترة سيكون متوارثًا وسنة متبعة والخروج عنه ضلالًا قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾؛ ليقرع أسماعهم بما سبق في علمه أنه كائن، وأنهم سيجعلون الحسنة التي يزداد بها صاحبها حسنى- اقترافا لجريرة مهلكة .

ولو اطلعت على كتاب «ميزان الاعتدال» للذهبي- لرأيت أنهم أجمعوا على تجسيد الشيعة المحبين وكأنهم أمة ملحدة مباحة الدم والعرض والمال!! فرحم الله القائل :-

فِي شَوْكَةِ «الْمِيزَانِ» مَيْلٌ وَاضِحٌ   عَنْ مِثْلِ مَا فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ
فَاجْزِمْ بِكَسْرِ النَّصْبِ وَارْفَعْ رُتْبَةً   لِلدِّينِ وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الْمِيزَانِ

ولا جرم أن بعض المحبين قد غلوا في حبهم حتى صدق عليهم أنهم ممن أهلكهم غلوهم: يعبدونهم من دون الله، ويهتفون منادين بأسمائهم، وجعلوا منهم أربابًا يضرون وينفعون، وهذه هي الفرقة الزائغة، الوارد

فيها الأثر: «مُحِبٌّ غَالٍ»، كما أن في بعض آل بيت رسول الله من تنكب عن الحق، وجاهر بالمعصية، وانسلخ عن الرشاد، وتجنب درب الهدى، وكان حقيقًا بما قاله الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى :

إِذَا مَا رَأَيْتَ الْفَاطِمِيَّ تَمَرَّدَا ... أَقَامَ عَلَى كَسْبِ الْمَعَاصِي وَأَخْلَدَا
فَذَاكَ الَّذِي لَمَّا ارْتَدَى ثَوْبَ عِزِّهِ ... تَبَدَّلَ أَثْوَابَ الدَّنَاءَةِ وَارْتَدَى
فَيَا سَوْأَتَا لِلْفَاطِمِيِّ إِذَا أَتَى ... أَسِيرَ الْمَعَاصِي يَوْمَ يَلْقَى مُحَمَّدَا
وَشَرُّ فَتًى فِي الْعَالَمِينَ فَتًى أَتَى ... وَقَدْ أَصْلَحَتْ كَفَّا أَبِيهِ فَأَفْسَدَا

فمثل هذا لا تجوز موالاته ومحبته فضلًا عن اتباعه .

(فصل) مما سبق يعلم المطلع قدر حملة الباغضين على: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» وكيف صبت التأويلات منهم على هذا الحديث، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[المائدة:٦٧].

وألق نظرة على ما أحرزه أخو رسول الله من مواقف في المعارك أذل فيها معاطس الكفرة، وأنعل الخيل بأقحاف صناديدهم، وربما فضلوا عليه من لم يثبت أنه قتل كافرًا، وهو -أي علي- من لم تذل له راية في معركة قط، ولا وَلَّى الكافرين دبره، بل من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤]

وفيه وفي حمزة والحارث بن المطلب نزل قول الله ﷺ فيهم وفي مناوئيهم من الكفرة: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج:١٩] بدأ بالفريق الكافر، ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ ثم عطف على حمزة والذين معه؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية [الحج:٢٣] وقد أقسم أبو ذر رحمه الله أنها نزلت فيهم، وأغضى عنها لفيف من المفسرين المتطفلين على التفسير، جاهلين للحق أو كاتمين له، وقد استوفيت المقام في المبحث الأول من رسالتنا هذه التي بين يديك ، وفَلَيْتُ لها الأدلة الصحيحة من معادنها : ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾[الأنفال:٤٢] ونعم الحكم الله.

وَانْظُرْ إِلَى حَظِّ هَذَا الْبَيْتِ كَيْفَ لَقِي مِنَ الْأَوَاخِرِ مَا لَاقَى مِنَ الْأُوَلِ

ولو نظرت الى بعض فضائل علي عليه السلام وهي من أصح الصحاح «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»، وآية البلاغ، وآية المباهلة- لقلت : هذا مقام العائذ بك مما لا يرضيك .

اللهم اجعلنا لأوليائك موالين، ولأعدائك معادين، واحشرنا مع من أحببنا من المقبولين لا من المقبوحين ، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ .

تتمة بحث: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[الشورى:٢٤]

فإن قلت: ماسر إيلاء هذه الآية بما قبلها؟ **قلت:** لما كان المقام من الآية الأولى يوحي بتهمة من المنافقين وضعفاء الإيمان وبعض الحسدة من قريش أن يقولوا في هذه الآية- أي قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣]-: إنها مختلقة جاء بها محمد ﷺ لتأسيس مقام لآل بيته، وإيجاب ولائهم، وتحريم بغضهم حسدًا منهم ونفاسة عليهم؛ قال سبحانه سدًّا لذريعة الخائضين: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ﴾ [الشورى:٢٤] وأم هي هنا المنقطعة بمعنى أنه سيقال: وإن لم يكن قولًا لفظيًا؛ فقد أحيطت هذه الآية بتأويلات غريبة عليها ونابية عنها، حتى حيل بين الناظر وبين ما يراد بها، وحتى قال بعض النواصب: إن عليًّا ليس من آل بيت رسول الله!!!.

ومن ثم قال سبحانه: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ﴾[الشورى:٢٤]: أي أنه الغني الذي لايحتاج إلى شيء، وكل شيء مفتقر إليه سيقرر ويثبت بآياته ماهو الحق في وجوب محبة آل بيت نبيه وأوليائهم، ومحو ما يرسمه أهل الزيغ والبغض والشَّنَفِ لآل بيت رسول الله؛ حيث تواروا عما أمر

الله به، ووصى به رسوله الأمين، وعكسوا القضية فجعلوا ولاءهم وولاء أوليائهم سبة وجريمة مانعة من إدراجهم في سلك المسلمين، وحظروا أخذ الهدى عنهم ، وأبطلوا رواياتهم ووسموهم بأقبح سمة عندهم- فقالوا: (شيعي هالك)، ولعل هذا الموقف يصدق قوله عليه وآله الصلاة والسلام: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ» .... إلخ؛ فالأولون (بنو إسرائيل) حسدوا آل إبراهيم، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[النساء:٥٤] واقرأ بعد هذه الآية ثلاث آيات من سورة النساء، ثم اذكر قوله ﷺ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ» ...إلخ: يعني الحسد الذي مُني به حسدة آل إبراهيم دب إليكم فتحسدون آل محمد، وهل هم إلا من آل إبراهيم؟!!!! «أَلَا إِنَّهَا الْحَالِقَةُ مَا أَقُولُ:إِنَّهَا تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ».

ثم أقول: إن على من ينتمي إلى هذا الحرم المقدس أن يتطهر حتى يستحق ما استحقه داخلوه، ولايتكل على النسب، وقد ملأ من الفضائح المسب .

وعلى محبيهم عدم الغلو والهتاف بأسمائهم وعبادتهم ودعوتهم بأسمائهم لكشف البلاء؛ فهذا عين الشرك ومحض الكفر!

ومن ثم نبهنا في كتابنا «الزيدية بين محب غال ومبغض قال» على أن التشيع الصحيح في الإسلام هو الموجود في الزيدية - حرسها الله- ؛ لأنها

توالي جميع أهل البيت من ذرية الحسن والحسين؛ فيوالـون الإمـام زيـدًا، وأخاه الباقر، وأباه زين العابدين، وجعفـرا، والـنفس الزكيـة، والنـاصر، والقاسم بن إبراهيم، والهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليهم السلام، وسائر الآل الأطهار سفن النجاة، ونـبرأ إلى الله مـن عقائـد وأفكـار الإماميـة الاثنـي عشرية الزائغة؛ إذ آمنوا ببعض أهل البيـت وكفـروا بـبعض، وفرقـوا بـين الأخ وأخيه، وشـوهوا بالتـشيع بوصـفهم العبـد الـذليل بـصفات الملـك الجليل؛ فادعوا لبعض الأئمة علم الغيب والولايـة التكوينيـة مـن الخلـق والرزق ... إلخ؛ فالحمد لله على نقاء وصفاء المذهب الزيدي وخلـوه مـن هذه الخزعبلات؛ فالمذهب الزيدي خلاصة الإسلام المحمدي.

نسأل الله الهد اية للجميع وحسن الختام وكرم المقام، وسـلام عـلى آل بيت رسول الله، وعلى صالحي عباد الله من الأولين والآخرين، والحمـد لله رب العالمين .

ثم قف عند قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَتَتَّبِعُنَّ سَـنَنَ مَـنْ كَـانَ قَـبْلَكُمْ»، قيـل: اليهـود والنصارى يارسول الله؟ قال: «وَإِلَّا فَمَنْ؟ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ».

أخيرًا: نـسأله العافيـة للجميـع، والحمـد لله رب العـالمين، وصـلى الله وسلم على سيد نا محمد وآله الطاهرين.

المبحث السابع: (تحقيق القول في إسلام أبي طالب)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على محمد وآله: اعلم أذاقك الله حلاوة الإنصاف، وكره إليك الجدل بالباطل، وأثلج صدرك ببرد اليقين- أن الأمة التي بُعث فيها خاتم النبيين كانوا على عقيدتهم أشد تذمرًا منهم على أقاربهم ؛ يتفانون في حمايتها، والذب عنها، تبلغ بأحدهم الحمية أن يرى قريبته التي يضحي بنفسه دون أن يرى بها أي مهانة تفتن وتعذب على عينه وهو يراها معذبة مهانة، لا ينبض منه عرق الحمية، ولا القرابة ولا العصبية، ويراها أهلًا لما نزل بها، لتركها دينها؛حميةً كانت تغلي ولا غليان مرجل على سعير، في مجتمع قد التحم ورصَّ الصف؛ لذب الناس عن الإسلام أن يدخل في قلب رجل منهم، أو امرأة؛ حتى حالوا بين العامة وبين سماع القران؛ حينما يتلوه الناصح الأمين: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦] ؛ فالمجتمع جحيم ضد الإسلام، يوقد من شجرة أبي سفيان، وأبي جهل، والمغيرة ، وغيرهم من أساطين الكفر وقناطر الفساد؛ فهل تتصور أن يوجد فيهم ومنهم من يفتح قلبه وصدره وبيته لدعوة أعدت لِدَكِّ هذا المجتمع الساحب لأذيال الكبرياء والتعالي، وتأتي على عقيدته وعقيدة مجتمعه من أصلها؟!! هل يتصور وجود شخص كهذا وهو يدين بدين مجتمعه ويسير في غيهم ؟!! وجود مثل هذا غير ممكن إلا من شخصية

مذبذبة، لا من مثل أبي طالب حصن المجد، ودعامة الإباء، وعنوان الشرف في رأي المحب له والقالي ، من البعيد أن يقوم بما قام به وهو مع المجتمع مُلَطَّخًا بآثامه ، مَقُودًا بزمامه، ويصبر على كل أذى وتحدٍّ يلقاه، ومقاطعة وتهديد ووعيد في سبيل شيء لا يعتقده ولا يؤمن به ؟!!! بل لا يقتصر على هذا حتى يجرد من نفسه لمحمد وزيرًا ونصيرًا ، بل يجعل نفسه مجنًا يقي محمدًا أي أذى أو سوء يتصل به، ثم نعود إلى قاعدة من قواعد الدين، وقد طلب أحد المشركين من النبي ﷺ أن يأذن له في نصرته؛ فقال ﷺ : «إِنَّا لَا نَسْتَعِينُ عَلَى أَمْرِنَا هَذَا بِمُشْرِكٍ»، وقد كان ﷺ لا يطلب من أحد منهم حماية ولا نصرة وهو في أضيق مكان، وإنما يطلب الدخول في الإيمان؛ لتصح النصرة، ثم اعطف على كتاب الله تجد أن قيام أبي طالب بمناصرة محمد ﷺ كان عن إذن من الله سبحانه وتعالى، وفِعْله، واتل قوله تعالى:﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى:٦] فهو إذًا بإذن الله تعالى، وما أذن له(١) إلا وقد علم أنه أهل لذلك، وطاهر من الشرك والظلم ، وإلا فستتناقض مع قوله ﷺ : «إِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ» بل مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[هود:١١٣] أي لا يركنْ أحدٌ من نبي أو غير نبي إلى ظالم مشرك ، وقد دل على إسلامه ما صرح به في أبياته الموجودة إلى الآن مثل قوله :

---

(١) أي ما أذن الله لأبي طالب بكفالة محمد ﷺ ونصرته.

لَقَـــدْ عَلِمُـــوا أَنَّ ابْنَنَـــا لَا مُكَـــذَّبٌ لَدَيْنَـــا وَلَا يُعْنَى بِقَـوْلِ الْأَبَاطِـلِ

وقوله :

أَلَمْ تَعْلَمُـــوا أَنَّـــا وَجَـــدْنَا مُحَمَّـــدًا نَبِيًّا كَمُوسَى خُـطَّ فِي أَوَّلِ الْكُتْـبِ

وقوله :

وَبِالْغَيْـبِ آمَنَّـا وَقَـدْ كَـانَ قَوْمُنَـا يُـصَلُّونَ لِلْأَوْثَـانِ قَبْـلَ مُحَمَّـد

ثم كيف يسمح أبو طالب لأنجب أولاده أن يعتنق الإسلام؟!!! لأن أبا طالب لو كان على دين مجتمعه ويعتقد بأن ما جاء به محمد باطل فقد أضلَّ سبيل ابنه وأخسَرَ مسعاه؛ وهذا لا يتصور من مثل أبي طالب؛ لأنه كان من أزكى الناس عقلًا، وأبعدهم تفكيرًا، وأقواهم عارضة ؛ ما ذاك إلا لأنه يؤمن بصدق نبوة محمد ﷺ، وما سكت عن كل ما يجري في بيته على سمعه وبصره وعلمه بإيمان ابنه وصلاته مع محمد ﷺ، وسكوته عن فاطمة بنت أسد رضي الله عنها، وهي تقوم لمحمد مقام أمه، ما كل ذلك إلا لأمر قوي لم يستطع أبو طالب تحديه ولا مغالبته، وهو ثبوت الإيمان بصدق الدعوة في قلبه، وأن صدق محمد ﷺ عنده قد اتضح، وسبيل الكفر قد افتضح، أضف إلى ذلك قول أخيه العباس لرسول الله ﷺ: «إنه قد قال الكلمة التي أمرتَه أن يقولها» وهو يعني جهره بها، وإعلان إيمانه بها، وإلا فمواقفه تشهد بإيمانه، وأنه كمؤمن آل فرعون .

فإن قلت: قد رووا أنه حينما قال له رسول الله ﷺ أن يقولها، قال له

أبو جهل: أترغب عن ملة آبائك ؟ ثم لم يقلها .

قلنا: نحن نمنع من قبول رواية ناقص العدالة؛ فكيف برواية أبي جهل !!! أضف إلى ذلك ما رواه القاضي عياض المالكي في الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ج٢ ص ٢١، ٢٢ ولفظه: وروي عن أبي بكر أنه قال للنبي ﷺ: «وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَإِسْلَامُ أَبِي طَالِبٍ أَقَرُّ لِعَيْنِي مِنْ إِسْلَامِهِ- يَعْنِي مِنْ إِسْلَامِ أَبِي قُحَافَةَ- وَذَلِكَ أَنَّ إِسْلَامَ أَبِي طَالِبٍ كَانَ أَقَرَّ لِعَيْنِكَ». اهـ المراد.

ثم اعلم أن الله – تمت كلماته – لم يأذن لمشرك شاهد على نفسه بالكفر أن يعمر مسجدًا، وإذا بناه فليس بمسجد، ولا هو بقربة، ولا تصح الصلاة فيه؛ فكيف يسمح الله أن تبنى عقيدة التوحيد وأركان الإسلام بمساعدة رجل مشرك؟!! ولقد منع الحق سبحانه وتعالى من ظهر نفاقهم من الخروج مع رسول الله بسيوفهم لنصرة الدين؛ فقال سبحانه : ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ﴾[التوبة:٨٣] بل رد النبي ﷺ من المعركة من لم يبلغ حد التكليف، ولم يسمح له أن ينضم إلى المقاتلة كعبد الله بن عمر وغيره؛ فتبين أن من قاعدة هذا الدين وسنة رب العالمين ألا يقوم إلا برجال الدين الذين اعتقدوه، وأصبح جزءًا من كيانهم؛ فهذه هي سنته بدءًا وختمًا، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾[فاطر:٤٣]

نعم: أنت بين أمرين لا ثالث لهما : **إما** أن تقول بإسلام أبي طالب؛ تمشيًا مع قاعدة الدين[1] المشار إليها بقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ**﴾[هود:١١٣]، وقوله ﷺ : «**إِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ**»، وهو أيسر الأمرين وأقربهما إلى الحق، أو تقول: (القاعدة مختلة) وهي مضلة ومهلكة، هذا ما جرى القلم ، والفضل لمن أقسم بالقلم .

والحمد لله رب العالمين.

تم الفراغ من هذه الرسالة بمباحثها السبعة في ٣٠/ شوال/ ١٤٣٣هـ.

أحمد لطف الديلمي
عامله ربه بأحمد لطف

---

(١) وهي أنه لا استعانة بمشرك.

الفهرس

المبحث الأول: التبر المذاب، في ولاية أبي تراب ---------------- ٣

الوصـاية ---------------------------------- ٨

فصل منه ---------------------------------- ٩

آية الولاية -------------------------------- ١٢

بلغ ما أنزل إليك ---------------------------- ١٤

استحقاق الخلافة ---------------------------- ١٦

محل الاختصاص ----------------------------- ١٧

لا ولاية لمن سجد لصنم ولو أسلم -------------- ١٨

قاعدة أصولية ------------------------------- ٢٠

المبحث الثاني: (تأملات في السنة النبوية رقم ١) ---------- ٢٤

«ستقاتل بعدي» ------------------------------ ٢٩

أتدري؟ ------------------------------------ ٣٠

ماهي اللآلئ؟ -------------------------------- ٣١

المبحث الثالث: (تأملات في السنة النبوية رقم٢) ---------- ٣٣

المبحث الرابع: الاصطفاء للنبوة والإمامة ---------------- ٤١

أمر الإيجاد -------------------------------- ٤١

أمر الإيجاب ------------------------------- ٤٤

المبحث الخامس: بحث في سبب اقتران آل محمد بآل إبراهيم في تشهد الصلاة -٤٦
المبحث السادس: بحث في آية المودة ------------------- ٤٨
تتمة بحث : ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ ------------------- ٥٢
المبحث السابع: (تحقيق القول في إسلام أبي طالب) ------------ ٥٥
الفهرس ------------------------------------ ٦٠